

تصويب قول العامة :

فلان أخصائي بكذا وكذا

د. فوزي حسن الشايب

جامعة اليرموك

يشيع كثيرا على ألسنة العامة استعمال كلمة «أخصائي» بمعنى مختص او اختصاصي ، وذلك كقولهم : راجعت الطبيب الأخصائي ، وحضر الموظف الأخصائي وينكر كبار اللغويين وجهابذة الالفاظ على العامة استعمالهم هذه الكلمة ، ومن هنا كان انكار الاستاذ الدكتور أحمد مختار عمر على مقدمي برنامج «اسأل الاذاعة» في دولة الكويت استعمالهم هذه الكلمة . قال بهذا الخصوص^(١) : « ويستعمل الناس الآن كلمة أخصائي - بكسر الخاء وتشديد الصاد - ويصر مقدمو برنامج «اسأل الاذاعة» بالكويت على نطقها هكذا ، ولا معنى للكلمة على هذا الضبط ولا على ضبطها إخصائي - بكسر الهمزة وسكون الخاء - والكلمة الصحيحة في هذا المقام ان يقال : اختصاصي الجراحة ، او مختص الجراحة » .

ولم يكن الدكتور أحمد مختار عمر أول من انكر استعمال إخصائي . فانكار هذه الكلمة مجمع عليه - في مبلغ علمنا - من قبل اللغويين كافة ، أما (الإخصائي) التي أنكرها الاستاذ الدكتور أحمد مختار عمر هي الاخرى ، فقد اثبتت كتب اللغة أصلا لها . وعلى كل ، فقد كانت هذه الكلمة اي - الإخصائي - موضوع مناظرة لغوية حامية الوطيس ، استعراواها بين اثنين من

(١) العربية الصحيحة ص ١٦٢

عمالقة اللغة في الربع الأول من هذا القرن، هما الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي والاستاذ الشيخ عبد الله البستاني^(٢). فقد انكر الاستاذ الشيخ عبد الله البستاني على الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي استعماله بعض الالفاظ، كان من بينها ما ظن الشيخ البستاني انه «الأخصائيين» فقال مخاطباً الشيخ المغربي^(٣): «تقول حفظك الله ان كلامي لا يفهمه إلا صاحبه وطائفة الأخصائيين. أقول: تدبرت هذا القول ملياً، فلم أفهمه، وأظن ان قائله لا يفهمه هو بعينه ولا أحد من المتخصصين، وذلك ان الأخصائيين جمع لأخصائي والأخصائي منسوب الى أخصاء وهو جمع لا ينسب اليه، وواحد خصاص، وخصيص لفظ مهمل لا معنى له، وما لا معنى له لا يفهم. واما قول الرقعمق:

أصحابنا قصدوا الصبح بسحرة
وأتى رسولهم اليّ خصيصاً
فخصيص منه غلط مطبعي صوابه خصوص. راجع معاهد التنصيص في باب المشاكلة».

وقد رد الشيخ المغربي عليه بأن ما جاء في كلامه هو الإخصائيين وليس الأخصائيين؟ والإخصائيين نسبة الى الإخصاء، مصدر أخصى الرجل: اذا تعلم علماً واحداً، كما في القاموس وشرحه^(٤). فلو ان الاستاذ الدكتور احمد مختار عمر اطلع على هذه المناظرات، وما جاء فيها، أو لو أنه استشار المراجع اللغوية، لما أطلق حكمه السابق، وذلك بالنسبة لـ «إخصائي» على أقل تقدير، ولكنها العجلة والتسرع، وعدم التروي والتثبت، وحكم

(٢) جرت أحداث هذه المناظرات اللغوية على صفحات صحيفة الوطن البيروتية التي كان يملكها الاستاذ وديع عقل، وذلك في الربع الاول من هذا القرن وقد امتدت لاجد عشر شهراً؛ من ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢١م الى ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٢م. وقد جمع هذه المناظرات الاستاذ حسام الدين القدسي صاحب مكتبة القدسي، وطبعها في كتيب للافادة منها والانتفاع بما جاء فيها. انظر مناظرات لغوية وادبية ص ٢.

(٣) مناظرة لغوية وادبية ص ٣٠.

(٤) المصدر السابق ص ٣٩.

الاستاذ الدكتور أحمد مختار عمر فضلا على كونه غير مسلم له به، لأنه خطأ بين كما سيتضح لنا من خلال الصفحات التالية، فانه يؤخذ عليه الى جانب ذلك خروجه في حكمه هذا على مذهبه وعدم تقيده والتزامه بما افتي به هو نفسه في كتابه الموسوم بـ «العربية الصحيحة» حيث قال :- وما أحسن ما قال :- ان الحكم على كلمة بالخطأ أصعب بكثير من الحكم على أخرى بالصواب، لأن الحكم بالخطأ يعنى الزعم بعدم ورود اللفظ او العبارة في الأساليب الفصيحة، وهذا يستلزم الاستقراء التام وهو ما يصعب او يستحيل القيام به في كثير من الأحيان»^(٥). فهل قام الاستاذ الدكتور أحمد مختار عمر حين حكم بؤاد هاتين الكلمتين؛ أخصائي وإخصائي باستقراء تام، فثبت لديه عدم ورودهما في الأساليب الفصيحة؟ والجواب بطبيعة الحال النفي قطعاً. فهو اذا حكم جائز، لم يبن على أساس علمي سليم.

واذا كان الدكتور احمد مختار عمر قد أنكر - ومن قبله الشيخان الجليلان البستاني والمغربي - على العامة استعمالهم كلمة «أخصائي» فاننا نرد عليهم انكارهم، ونقول: ان استعمال العامة هذه الكلمة استعمال صحيح مقبول، وله ما يسوغه لغويا، ومن حفظ حُجَّةً على من لم يحفظ، وتحضرنا في هذا المقام - والشيء بالشيء يذكر - حكاية مشابهة لما نحن فيه، حكاها فيلسوف الادباء واديب الفلاسفة أبو حيان التوحيدي - جاء فيها «وقال الصاحب يوما: فَعَلَ وأفعال قليل. وزعم النحويون أنه ما جاء الا زَنْد وأزناد، وفرخ وأفراخ، وفرد وأفراد... فقلت له: أنا احفظ ثلاثين حرفا كلها فَعَلَ وأفعال. فقال: هاتِ يا مُدَّعي، فسردت الحروف، ودلت على مواضعها من الكتب ثم قلت: ليس للغوي ان يلزم مثل هذا الحكم الا بعد التبحر والسماع الواسع وليس للتقليد وجه، اذا كانت الرواية شائعة، والقياس مطردا»^(٦).

وقبل ان نمضي بعيدا في اقامة الدليل على صحة استعمال «أخصائي» نقول باننا كنا نتمنى ان يعتمد الاستاذ الدكتور احمد مختار عمر الى الخطأ

(٥) العربية الصحيحة ص ١٢٩.

(٦) معجم الادباء ٢٦/١٥.

اللغوي الذي ينطوي عليه اسم البرنامج الا وهو «سأل الاذاعة» الذي هو من الوضوح والقبح في نفس الوقت بمنزلة البقعة السوداء الكبيرة في الثوب الناصع البياض، فيقومه أولاً، ثم ينطلق بعد ذلك الى تقويم الاخطاء التي وردت في هذا البرنامج. ان العربية الفصيحة لا تعرف هذا الاستعمال:

«سأل» ابتداءً ألبتة. وقد كان لنا تعليق مقتضب في صحيفة الدستور الاردنية^(٧)، على برنامج كان يحمل اسماً مماثلاً في الاذاعة المرئية الاردنية، الا وهو برنامج «اسألوا أهل الذكر»، والذي يذاع عادة بين يدي مدفع الافطار طيلة شهر رمضان المبارك، وبيناً انه استعمال خاطيء، وأن الالتزام بكلام العرب، والتقييد بالاعراف اللغوية، يقتضي ان يكون اسم البرنامج: «سلوا أهل الذكر» او «فاسألوا أهل الذكر» وكذلك ينبغي ان يكون اسم البرنامج الكويتي: «سل الاذاعة» او «فاسأل الاذاعة». وعليه، فان سكوت الاستاذ الدكتور أحمد مختار عمر عن هذا الخطأ اللغوي البارز، وتخطئه لـ أخصائي وإخصائي هو في الحقيقة تصويب لخطأ، وتخطئة لصواب.

ان الهمزة؛ عين الفعل «سأل» يجب ان تسقط من الامر اذا ابتدئ به الكلام، وهذا قانون عام، لا يتخلف ولا ينكسر، وبيان ذلك على النحو التالي:-

الامر كما هو مقرر ومعروف مقتطع من المضارع^(٨). ويتم الحصول عليه عن طريق اسقاط حرف المضارعة، واسقاط حركة آخر الفعل، وبذلك فان الامر من «يَسْأَل» هو في الاصل «سَأَل s'al» غير انه باسقاط حرف المضارعة من «يَسْأَل» يتشكل محظور لغوي، الا وهو التقاء صامتين في مقطع واحد في اول الكلمة؛ هما السين والهمزة، وهذا لا يجوز، ولا يكون بحال، عربياً ولا سامياً. قال بروكلمان: «^(٩) لا يمكن بحسب قوانين المقاطع في اللغات السامية ان يلتقي صوتان صامتان في اول الكلمة، ولذلك فانه اذا

(٧) عدد الجمعة ١٩٨٨/٥/٦ م.

(٨) انظر شرح المفصل ٩/٧ وانظر شرح الشافية ٨٨/٣.

(٩) فقه اللغات السامية ص ٧٣.

وجد مثل هذين الصوتين في صيغة ما نشأت حركة جديدة^(١٠) قبل الصوت الاول ونادرا بعده، وكونت معه مقطعا مستقلا». يعني انه لا بد من الفصل بين الصامتين، ويتم ذلك عن طريق تخليق مقطع جديد باضافة كسرة قبل الصامت الاول. غير ان اضافة الكسرة وحدها لا تحل المشكلة، لانه سيترتب عليه ابتداء المقطع بحركة، ولكن المقاطع العربية والسامية عامة لا تبدى مقاطعها الا بصامت، قال بروكلمان^(١١): «كل مقطع يبدأ في اللغات السامية اصلا بصوت صامت واحد او همزة» وللتغلب على هذه المشكلة تعتمد العربية بشكل آلي الى تحقيق الحركة، وبتحقيقها تتخلق الهمزة، هي هذه المعروفة بهمزة الوصل. قال بروكلمان^(١٢): «كل حركة في اول الكلمة في اللغات السامية تنطلق في الاصل محققة، بمعنى انها تسبق بهمزة». وبذلك يصبح فعل الامر «اسأل: is'al».

ولكن صيغة الامر لم تقف عند هذا الحد من التطور، فقد تابع التطور في هذا الفعل مسيرته عن طريق المخالفة بين الهمزتين: همزة الوصل، والهمزة التي هي عين الفعل، نظرا لكون الصامت الذي يفصل بينهما مشكلا بالسكون. فكأن الهمزتين قد تتابعتا في النطق، اذ الصامت المشكل بالسكون - على حد تعبير القدماء - حازر غير حصين، فيخالف بينهما

(١٠) «جديد» يستوي فيه المذكر والمؤنث؛ لانه فَعِيل بمعنى مَفْعُول، ولهذا قالت العرب: ملاءة جديد. انظر اللسان ٨٢/٤. وفي الحديث الشريف «وتشق السماء انشقاق القبطية الجديد» انظر الاغانى ٢١٢/١٥. وقال جميل بن معمر:

أناة على نيرين أضحى لداتها بَلِينْ بلاء الرِيط وهي جديد

غير أن بَعْضُهُمْ قد ألحق بها تاء التانيث وقد حكى سيبويه عنهم قولهم: ملحفة جديدة، ولكنه وصفها بانها قليلة، لا تكاد تعرف، انظر الكتاب ٦٠/١ وقد استعملها النحاة واللغويون بالتاء: ففي معجم الادباء ٣١٥/١٧ «ومنها تأليف الكتب القديمة والجديدة» ومن كلام أبي حيان في تذكرة النحاة: «من كتاب الممتع من النسخة الجديدة» ص ٥٤٠. وفي مقدمة ابن خلدون ص ٦٦٨ «عند اهل الدولة الجديدة». وفي بغية الوعاة ٢٠٨/٢ «فقرر شيخا بالاشرفية الجديدة».

(١١) فقه اللغات السامية ص ٤٣.

(١٢) المصدر السابق ص ٤١.

بحذف الثانية، عين الفعل، و « كثيرا ما يحدث ان يكون نتيجة التخالف اختفاء الصوت، لا اكثر ولا أقل»^(١٣). ويسقط الهمزة، عين الفعل، تتصل حركتها بالسین مباشرة، ومن ثم يصبح الفعل «إسَل: 'isal» وقد احتفظ بهذه المرحلة من تطور الامر من «سأل» في كلام بعض العرب. فقد «حكى ابو علي الفارسي ان ابا عثمان سمع من يقول: «إسَل»^(١٤).

ثم كانت المرحلة الاخيرة من مراحل تطور الامر من هذا الفعل عن طريق اسقاط همزة الوصل، وذلك بسبب زوال العلة التي من أجلها جيء بهمزة الوصل، فبارتفاع العلة ارتفع المعلوم ايضا، اي لم يعد لوجوده حاجة، ولالبقاء مسوغ. ويسقط همزة الوصل يصبح الفعل «سَل» للمفرد المذكر. قال تعالى: «سَل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية»^(١٥)، وقال جل ذكره: «سلهم أيهم بذلك زعيم»^(١٦)، ومن كلام العرب شعرا، قال ابو سعيد المخزومي: ^(١٧)

سَلِ الجرادة عني يوم تحملني
هل فاتني بطل او خمت عن بطل
والمخاطبة «سلي»، قال السموأل بن عاديا: ^(١٨)
سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم
وليس سواء عالم وجهول
وقال ابن الدمينه: ^(١٩)

سلي البانة الغناء بالاجر الذي
به البان هل حييت اطلال دارك

(١٣) اللغة ص ٩٤.

(١٤) اللسان ١٣/٣٣٨.

(١٥) سورة البقرة آية ٢١١.

(١٦) سورة القلم آية ٤٠.

(١٧) الامالي / القالي ١/ ٢٥٩.

(١٨) ديوان الحماسة ١/ ٣١.

(١٩) الامالي / القالي ٢/ ٣٣.

وجمع الاناث «سلن»، وجمع الذكور «سلوا». قال حسان بن ثابت: (٢٠)
 سلوا اختكم عن شاتها وانائها
 فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاةَ تَشْهَدُ
 ومن النثر، قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه: «أيها الناس سلوني قبل ان
 تفقدوني» (٢١). ومن كلام الشافعي رحمه الله: (٢٢) «سلوني عما
 شئتم» وعلى هذا كلام العرب، فالهمزتان؛ همزة الوصل،
 وعين الفعل تسقطان من الامر من سأل «ابتداء لثقل الهمزتين، وهمزة الوصل
 اذا كانت ابتداء هي همزة قطع؛ لان المقطع في العربية كما بينا، لا يبدأ الا
 بصامت» وقديما قال الاخفش: (٢٣) «ألف الوصل مهموزة اذا استؤنفت
 «فالامر من «يَضْرِب» مثلا هو «إِضْرِب» idrib» فالصوت الاول ينطق تماما كما
 تنطق همزة القطع، لانها مستأنفة، واذ قد عرفنا هذا ووقفنا عليه تبين لنا ان
 ما ذهب اليه الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي من ان «الناطق المجيد لهذه
 البنية، لا يحس بهذه الهمزة. فلسانه ينطق بالضاد في كلمة «اضرب»
 (الامر) قبل ان ينطق بشيء اسمه الوصل. واجادة النطق تستدعي محو هذه
 الالف اطلاقا» (٢٤)، غير صحيح على الاطلاق، فلا يتأتى بحال اسقاط همزة
 الوصل اذا كانت مستأنفة، لان هذا سيؤدي الى التقاء صامتين في مقطع واحد
 في بداية الكلمة، اي الضاد والراء، وهو غير جائز عربيا ولا ساميا البتة. واذ
 قلنا «عربيا» فانما نقصد العربية الفصيحة او العربية السليمة، أما اللهجات
 الدارجة، فمنها ما يجيز التقاء صامتين، وخاصة لهجات المغرب العربي،
 وأكثر من ذلك، فان اللهجات الدارجة في مختلف انحاء الوطن العربي تبقي
 على الهمزتين في الامر من «سأل» حيث يقال عادة: «اسألني» واسألوا
 واسألني وعليه، فان اسماء البرامج الاذاعية التي ذكرناها

(٢٠) الديوان ص ٢٤٣.

(٢١) نهج البلاغة ٢/ ١٣٠.

(٢٢) معجم الادباء ١٧/ ٣١٦.

(٢٣) معاني القرآن ٢/ ٢٧٧.

(٢٤) التطور اللغوي التاريخي ص ٦٦.

فيما مضى وهي : «اسأل الاذاعة» و «اسألوا اهل الذكر»، انما كان معدوها متأثرين باللهجات الدارجة، فلم يراعوا في وضعها الاعراف اللغوية المعهودة في العربية الفصيحة. فالعربية الفصيحة براء من مثل هذه الاستعمالات الهجينة براءة الذئب من دم يوسف. قال اللغوي الكبير ابن سيده: (٢٥) «والعرب قاطبة تحذف الهمزة منه في الامر، فاذا وصلوا بالفاء او الواو همزوا كقولك: فاسأل واسأل «وفي الحقيقة ان كلام ابن سيده ليس دقيقا على اطلاقه، اما صدر كلامه فصحيح، وصادق تماما، واما عجزه، اي قوله: «فاذا وصلوا» فغير صحيح، فكلام العرب يثبت لنا انهم اذا وصلوا همزوا أحيانا، وتركوا الهمز أحيانا أخرى، وبعبارة أخرى، انهم اذا وصلوا جاز الهمز وتركه. وترك الهمز إنما كان بفعل القياس، أي قياس حالة الوصل على حالة الابتداء، فاسقاط الهمز وصلا تطور حصل بفعل القياس، اي ليس عن علة صوتية مستحكمة كما هو الحال ابتداءً، بيد أن ساعد القياس على ما يبدو - لم يكن من القوة بمكان بحيث يحسم الامر لصالح اسقاط الهمز كلية، ولهذا نجد هذه الازدواجية في كلامهم، فهم يراوحن بين الهمز وتركه. وتحت يدي من الشواهد الشعرية والنثرية المحتج بها هي من الكثرة بحيث لو ذكرت كلها لمألت صفحات كثيرة، ولأسأمت القارئ وجعلته يشعر بالملل، ولذا فاني سأذكر بعضا منها فمن الشواهد الشعرية، قول دريد بن الصمة: (٢٦)

فسليهم عني خناس إذا
عض الجميع الخطب ما خطبي

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه: (٢٧)

فان كنت عن شأننا جاهلا
فسل عنه ذا العلم ممن يلينا

(٢٥) اللسان ٣٣٨/١٣ مادة «سأل».

(٢٦) الاغاني ٢٢/١٠.

(٢٧) السيرة النبوية ١٥٩/٢.

وقال الحطيطي: (٢٨)

أنا ابن بجدتهم علما وتجربة
فسل بسعد تجسدني اعلم الناس

وقال الآخر: (٢٩)

ت لي آل زيد فانسدهم لي جماعة
وسل آل زيد أي شيء يضرها
وأما الشواهد النثرية، فعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (٣٠) «إذا
سألتكم الله فسلوه بباطن الكفين وإذا» وقوله صلى الله عليه وسلم لعمار
ابن ياسر (٣١): « فسلهم عما قالوا»، وفي الاثر عن عائشة رضي الله
عنها انها قالت (٣٢): «فسلوا ربكم حتى الشسع» ومن كلام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه: (٣٣) «كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم، وسلوا الله رزق يوم
بيوم»، ومن كلام علي كرم الله وجهه: (٣٤) «وسل الجارية فانها
ستصدقك». وفي السيرة النبوية: (٣٥) «فسلوا محمدا». وقول بعض كفار قريش
للسول صلى الله عليه وسلم: (٣٦)
«وسله فليجعل لك جنانا»، و «فسل لنا ربك» (٣٧). ومن كلام معدي
كرب: (٣٨)
«فسليه ما يشبعه».

هذا غيض من فيض، وقليل من كثير، ولو شئنا لأتينا بالمزيد، الا انه

(٢٨) الاغاني ١٩٣/٢.

(٢٩) سر صناعة الاعراب ٨٢٣/٢.

(٣٠) انظر البيان والتبيين ٥٢٤/٣.

(٣١) السيرة النبوية ٥٢٥/٢.

(٣٢) البيان والتبيين ٥٢٤/٣.

(٣٣) المصدر السابق ٣٦٣/٢.

(٣٤) السيرة النبوية ٣٠١/٢.

(٣٥) المصدر السابق ٣٥٩/١.

(٣٦) المصدر السابق ٢٩٧/١.

(٣٧) المصدر السابق ٢٩٦/١.

(٣٨) الاغاني ٢٠٨/١٥.

يكفي من القلادة ما أحاط بالجيد . ففي هذا القدر مقنع وكفاية ، وفيه الدليل القاطع على ان العرب اذا وصلت تسقط الهمزة كثيرا .
ونأتي الان الى اِخْصَائِي وإِخْصَائِي .

لقد ذهب الاستاذ الدكتور أحمد مختار عمر كما اسلفنا الى انه لا معنى لهاتين الكلمتين في كلام العرب . وفي الحقيقة ان المعاجم العربية كلها تنكر وجود «خَصِيص» ، وبالتالي تنكر وجود الأَخْصَاء والأِخْصَائِي . أما الإِخْصَائِي فقد اثبتت لها المعاجم أصلا ، فقد جاء في القاموس المحيط : (٣٩)

«وَأَخْصَّ تَعَلَّمَ عِلْمًا وَاحِدًا» . وجاء في تاج العروس : (٤٠) «وَأَخْصَى الرَّجُلُ : تَعَلَّمَ عِلْمًا وَاحِدًا» . والمصدر من «أَخْصَى» هو «إِخْصَاء» كما نقول : أَخْصَى إِخْصَاءً . والنسبة الى المصدر «إِخْصَاء» هو «إِخْصَائِي» كما نقول في النسب الى إِخْصَاء : إِخْصَائِي . والنسب الى المصدر لانزاع فيه ، فقولنا : فلان إِخْصَائِي بكذا وكذا ، هو بمعنى قولنا : متخصص . (٤١) .

وعليه فان قول الدكتور احمد مختار عمر بان إِخْصَائِي لا معنى لها في كلام العرب ، وانكاره لها بالتالي مردود . وفي اوائل هذا القرن كان الشيخ عبدالله البستاني قد أنكر هو الآخر كلاً من الأِخْصَائِي والإِخْصَائِي ، وعندما أحاله الشيخ المغربي على ما جاء في القاموس المحيط ، وتاج العروس بالنسبة لـ «إِخْصَائِي» ، وكذلك ما جاء عنها في المعاجم التي نقلت عن القاموس كأقرب الموارد (٤٢) ، ومحيط المحيط ، (٤٣) لم يزد ذلك الا عنادا وتصلبا في رأيه ، وحكم على ما جاء في القاموس وغيره بانه غلط فظيع وخطأ شنيع ، وذهب الى حد الزعم بأن ناسخ القاموس قد مسخ الجملة التي ذكر فيها فعل الاخْصَاء وحرفها ، وان الاصل فيها - على حد قوله - كان : أَخْصَى الرَّجُلُ :

(٣٩) القاموس المحيط ٤/ ٣٢٤ .

(٤٠) تاج العروس ١٠/ ١١٥ .

(٤١) مناظرة لغوية وادبية ص ٣٩ .

(٤٢) أقرب الموارد ١/ ٢٨٠ .

(٤٣) ص ٢٣٦ عمود ٣ .

مُعِل^(٤٤) معلا واحدا. ^(٤٥) وان المقصود من قوله «واحدا» اي خصاء لا نظير له، اي أنه بولغ في خصائه. وقد رد المغربي هذه المزاعم ووصفها بانها لا تستند الى برهان ولا الى رأي حصيف. ^(٤٦) اذ لو كان الامر كما وصف الشيخ البستاني لكان ينبغي ان يوجد هذا الاصل المزعوم ولو في نسخة واحدة من نسخ القاموس المحيط، او لكان ينبغي على الاقل تداركه من قبل اولئك الذين اولعوا بالقاموس واغلاطه كأحمد فارس الشدياق الذي ألف كتابه «الجاسوس على القاموس» في تتبعها والكشف عنه. او كالشيخ نصر الهوريني مصحح المطبعة الاميرية بالقاهرة، او الشيخ محمد محمود الشنقيطي المعروف بتشده وتنطعه في ضبط اللغة. ^(٤٧)

واذا كنا نجد المعاجم تثبت لـ «إخصائي» اصلا ومعنى في كلام العرب، يشفعان لها في الاستعمال، فاننا لا نجد أيا منها يثبت شيئا من هذا القبيل لـ «أخصائي» ومن هنا انكرها اللغويون وشنعوا على مستعملها.

ونقول لشد ما ظلمت مادة «خصص» من قبل المعاجم العربية! لقد حجر على بعض مشتقاتها قسرا، فلم يعترف بها وحكم بوادها، من ذلك مثلا «خصيص وخصيصة»، وهذه الاخيرة تكاد تكون أكثر أفراد أسرة «خصص» دوررانا في الكلام وذلك من خلال صيغة الجمع اي «خصائص» ويكفي للتدليل على شهرتها وكثرتها في الاستعمال كونها اسما لاشهر كتب ابن جني، ومع ذلك فلم تذكر المعاجم خصيصة ولا خصائص الا صاحب اقرب الموارد الذي عدّها جمعا لـ خاصة على غير القياس. ^(٤٨) وهذا منه اجتهاد خاطيء، ولعله اضطر الى هذا التخريج كون المعاجم العربية قد أغفلت ذكر «خصيصة»، ولكن اللغة أوسع من المعاجم، فان تكن المعاجم قد أهملت هذه الكلمة وأغفلت ذكرها، فان اللغة قد اثبتتها واعترفت بها، فمن

(٤٤) مَعَل الرجل الحمار وغيره يمعله معلا: استلّ خَصِيَّتَه.

(٤٥) مناظرة لغوية وادبية ص ٤٣، ٤٤.

(٤٦) المصدر السابق ص ٥٦.

(٤٧) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤٨) اقرب الموارد ٢٧٨/١.

كلام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه: (٤٩) «والمنزلة الخصيصة». ويكفي هذه الكلمة ورودها على لسان علي رضي الله عنه ليكون شاهد اثبات لها، ووثيقة اعتراف بها، فكلامه رضي الله عنه كما وصفه الشريف الرضي هو «الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي». (٥٠) ولا غرو في ذلك فهو كما وصف نفسه رضي الله عنه «وانا لأمرء الكلام، وفيما تَنْشُبُتْ عروقه، وعلينا تهذلت غصونه». (٥١) وقد استعملت هذه الكلمة من قبل بعض اللغويين ايضا فهذا صاحب رصف المباني يقول في مقدمة كتابه: «الحمد لله . . . الذي جعل الكلام خصيصة البشر». (٥٢) وجمع خصيصة هو خصائص جمعا قياسيا، ولقد كثر استعمال هذه الكلمة - اعني كلمة خصائص - كثرة ظاهرة، فمن كلام علي كرم الله وجهه «ولهم خصائص حق الولاية» (٥٣) وفي السيرة النبوية: (٥٤) « . . . خصائص الى آجال مسماه».

وقال حسان بن ثابت: (٥٥)

الا خصائص أقوام هم سلف

للصالحين مع الانصار انصار

وكتب التراث تعج بهذه الكلمة، كالبيان والتبيين، (٥٦) والحيوان، (٥٧) ودلائل الاعجاز، (٥٨) واسرار العربية، (٥٩) وشرح المفصل، (٦٠) وشرح الرضي على

(٤٩) نهج البلاغة ١٥٧/٢ .

(٥٠) المصدر السابق ١١/١ .

(٥١) المصدر السابق ٢٢٦/٢ .

(٥٢) رصف المباني : ص ٩٧ .

(٥٣) نهج البلاغة ٣٠/١ .

(٥٤) ٥٤٣/٢ .

(٥٥) ٦٦٤/١ .

(٥٦) ٤٠٤/٢٤/١ .

(٥٧) ٥٢، ٥١/١ .

(٥٨) الصفحات : ٣٩ ، ٢٥٩ ، ٢٦٦ .

(٥٩) ص ٢٠٨ .

(٦٠) ٢٦/٨ .

الكافية (٦١)

كذلك لم تذكر المعاجم كلمة « خَصِيص » وقد جاءت . فقد نقل ياقوت الحموي عن كتاب أبي علي التنوخي قوله : (٦٢) « وكان أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب خَصِيصاً بالوزير أبي علي بن مقلة » . ولم تذكر المعاجم التقليدية المشهورة كاللسان ممثلاً للمعاجم التي نقل عنها ، والقاموس المحيط صيغة « استخص » . ولكنها وردت في كلام علي كرم الله وجهه : (٦٣) « ان الله تعالى خصكم بالاسلام واستخصكم له » . وقد ذكرت هذه الصيغة في اساس البلاغة وعبارته : « وهو يستخص فلاناً ويستخلصه » . (٦٤) وقد تأثر به الزبيدي . فكانت هذه الصيغة من جملة ما استدركه على القاموس ، (٦٥) وذكر نفس جملة اساس البلاغة .

وعلى هدى من اساس البلاغة وتاج العروس ، ذكرت هذه الصيغة في المعاجم الحديثة كأقرب الموارد ، (٦٦) ومحيط المحيط . (٦٧)

ومن جملة ما اهدرته المعاجم العربية من مفردات هذه المادة كلمة « خَصِيص » فلم يرد لها ذكر - في مبلغ علمنا - في اي من المعاجم العربية ، غير اننا لا نعدم ان نجد في بعضها ما يشهد لها ، كالذي ذكره صاحب القاموس وهو قوله : (٦٨) « وقد خَصِصْتُ بالكسر » ، وتابعه على ذلك صاحب تاج العروس الذي ذكر انها مما نقله الصاغاني عن الفراء . (٦٩) ان اثبات الفراء لـ « خَصِصْتُ » يعزز وجود « خَصِيص » ذلك ان اسم الفاعل (الصفة المشبهة) من « فَعِلَ » اللزوم كثيراً ما يأتي على « فَعِيل » مثل سَعِدَتْ فانت سعيد ، وحزنت

(٦١) ٥٠/١ .

(٦٢) معجم الادباء ١١٨/١٥ .

(٦٣) نهج البلاغة ٤١/٢ .

(٦٤) ٢٣٣/١ عمود ٢ .

(٦٥) تاج العروس ٣٨٧/٤ .

(٦٦) ٢٧٨/١ عمود ٢ .

(٦٧) ص ٢٣٥ عمود ٢ .

(٦٨) القاموس المحيط ٣٠٠/٢ .

(٦٩) تاج العروس ٣٨٧/٤ .

فانت حزين ، وبخلت فانت بخيل ومرضت فانت مريض ، وشححت فانت شحيح ، وضننت بالشيء فانت ضنين به وكذلك نقول : خَصِّصْتُ بفلان فانت خصيص به ، والمصدر القياسي ل «فَعِلَ» اللازم هو «فَعَلُ» وقد جاء الخَصَّصُ ، قال بعضهم في هجاء بشار بن برد: (٧٠)

إذا دعاه الخال ألقى ونكص

وهجنة الاقراف فيه بالخَصَّص

هذا من جهة القياس . اما من جهة الاستعمال فقد جاءت هذه الكلمة - خصيص - في كلام اللغويين والأدباء والكتّاب عامة في غير موضع ، وإذا كان الشيخ عبدالله البستاني قد حكم على هذه الكلمة - وهو في حكمه هذا يمثل لسان حال أصحاب المعاجم كافة - بأنها «لفظ مهمل لا معنى له» (٧١) وَرَدَّ بالتالي رواية بيت أبي الرقعمق (٣٩٩ هـ): (٧٢)

أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة

وأتى رسولهم الي خصيصا

وعدّ كلمة «خصيص» فيه غلطا مطبعيا ، صوابه هو خصوص «كما جاءت في كتاب معاهد التنصيص» (٧٣) فنقول إن ابن خلكان قد سبق صاحب معاهد التنصيص الى ذلك ، فقد روى هذا البيت على النحو التالي: (٧٤)

أحبابنا عزموا الصبوح بسحرة

فأتى رسولهم إليّ خصوصا

بيد انه حتى لو ثبت مجيء «خصيص» في هذا البيت ، فان ورود الكلمة في موضع واحد ، وفي الشعر ، الذي هو موطن الضرورات ، لا يكفي للاعتراف بها . ولكننا لسنا في حاجة الى بيت أبي الرقعمق سالف الذكر ، وذلك لأنها وردت في الشر حيث لا ضرورة ، في غير موضع في كلام اللغويين والأدباء

(٧٠) البيان والتبيين ٣١/١ .

(٧١) مناظرة لغوية وأدبية ص ٣٠ .

(٧٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٧٣) ٢٥٢/٢ .

(٧٤) وفيات الاعيان ٤٥٥/١ .

والكتاب، فهذا ابن النديم يقول في ترجمة أبي يعقوب اسحاق: (٧٥)
«وكان منقطعا في آخر أيامه إلى القاسم بن عبيد الله وخصيصا به» وقد كرر هذه
العبارة في موضع آخر من كتابه. (٧٦) ثم هذا ابن يعيش اللغوي الكبير، يقول
بصدد التنوين «... ولا يكون ذلك الا في الاسماء فلذلك كان خصيصا
بها» (٧٧) ثم هذا ياقوت يقول في ترجمة عمر بن بكير: «كان صاحب الحسن
ابن سهل خصيصا به، (٧٨) وهذا هو الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن
قايماز (٧٤٨ هـ) يقول في ترجمة أبي عبدالله الميدومي: (٧٩) «وكان خصيصا
بالحافظ المنذري». وجاء في بغية الوعاة في ترجمة البيروني: (٨٠) «وكان جليل
القدر، خصيصا عند الملوك». وجاء في ترجمة أحمد بن إبراهيم بن حمدون
النديم: (٨١)

«وكان خصيصا بالمتوكل». هذه بضعة مواضع من كتب التراث جاءت فيها
كلمة «خصيص» ومن ينقب فيها يجد مواضع أخرى كثيرة، وهذا القدر الذي
ذكرته يشهد بأن كلمة «خصيص» ليست مهمة، لا معنى لها، كما قال الشيخ
البستاني، وإنما هي كلمة مستعملة ومعروفة جيدا في كتب التراث، وعليه،
فالقياص والاستعمال كلاهما يثبت وجود كلمة «خصيص». وهي وإن انكرتها
المعاجم، فإنه لا ضير عليها طالما أن اللغة قد أقرتها - واللغة أوسع من
المعاجم بطبيعة الحال - وأثبتها الاستعمال.

و«خصيص» تُكسَّرُ على أخصاء كما يُكسَّرُ كل من شحيح وعزيز على
أشحاء وأعزاء، وقد جاءت بصيغة الجمع أيضا. فقد جاء في صبح الاعشى
للقلقشندي قوله: (٨٢) فينعم على الأخصاء من امرائه بما يختاره من الخيول.

(٧٥) النهرست ص ٣٤٣.

(٧٦) المصدر السابق ص ٣٥٦.

(٧٧) شرح المفصل ٢٥/١.

(٧٨) معجم الادباء ٢٦٢/١٥.

(٧٩) انظر بغية الوعاة ١٢/١.

(٨٠) المصدر السابق ٥١/١.

(٨١) المصدر السابق ٢٩١/١.

(٨٢) ٥٤/٤.

والأخصائي نسبة الى الأخصاء . الا انه تواجهنا ههنا مشكلة ، وهي ان النحاة والصرفيين لا يجيز جمهورهم النسب الى الجمع مطلقا ، سواء أكان جمع قلة أم كثرة ، قال سيويو : (٨٣) «اعلم انك اذا أضفت الى جميع ابدا فانك توقع الاضافة على واحده الذي كسر عليه ؛ ليفرق بينه اذا كان اسما لشيء واحد ، وبينه اذا لم ترد به الا الجميع» . قال ابن يعيش : (٨٤) «وساغ لهم ذلك لان المنسوب مُلابس لكل واحد من آحاد ذلك ولفظ الواحد أخف . فنسبوا اليه» . وشبهه بهذا تعليل ابن الحاجب : «لان الغرض من النسب الى الجمع الدلالة على ان بينه وبين هذا الجنس ملابسة ، وهذا يحصل بالمفرد ، فيقع لفظ الجمع ضائعا» (٨٥) اما الرضى فقد علل ذلك بقوله : (٨٦) «لأن أصل المنسوب اليه والاغلب فيه ان يكون واحدا ، وهو الوالد او المولد أو الصنعة ، فحمل على الأغلب» .

وهذه في الحقيقة تعليلات وتعلّلات منطقية لا تصدق دائما وابدا على الواقع اللغوي ، ثم ان الاصل في النسب عامة هو الابقاء على صيغة الكلمة كما هي ، حتى لا يحصل لبس بين صيغة وأخرى ، قال الدكتور مصطفى جواد في هذا المعنى : (٨٧) «ومن الحق ان النسبة لا ينظر فيها الى كون المنسوب اليه جمعا او مفردا ، لانها عزو اسم الى اسم آخر لاتصاله به نسبا او مادة او معنى او لونا او مكانا او حزبا او حرفة او شيئا غير ذلك» . وقد وردت عن العرب النسبة الى الجمع ، الامر الذي حدا ببعض النحاة الى اجازة النسب اليه مطلقا ، قال السيوطي : (٨٨) «وأجاز قوم ان ينسب الى الجمع على لفظه مطلقا» . وهؤلاء هم النحاة الكوفيون . قال ابن بري : (٨٩) «كونه لا ينسب الى الجمع قول البصريين وهو المشهور ، وخالفهم الكوفيون فجوزوا النسب

(٨٣) الكتاب ٣/ ٣٧٨ .

(٨٤) شرح المفصل ٩/ ٦

(٨٥) الايضاح في شرح المفصل ١/ ٦٠٤ .

(٨٦) شرح الشافية ٢/ ٨٠ .

(٨٧) المباحث اللغوية في العراق ص ٢٥ .

(٨٨) معجم الهوامع ٦/ ١٧١ .

(٨٩) نقلا عن المباحث اللغوية في العراق ص ٢٦ .

اليه مطلقاً». قال الاستاذ عباس حسن: ^(٩٠) «وحيثهم - اي الكوفيين - ان السماع الكثير يؤيد دعواهم - وقد نقلوا من أمثله عشرات - وأن النسب الى المفرد يوقع في اللبس كثيرا. ورأيهم حسن مفيد». وقد أخذ مجمع اللغة العربية بالقاهرة برأي الكوفيين، فأجاز بالتالي النسب الى الجمع على لفظه، واصدر بذلك قرارا، جاء فيه: «قرار المجمع بشأن النسبة الى جمع التكسير عند الحاجة كإرادة التمييز ونحو ذلك: رأى المجمع في هذا ان النسبة الى الجمع قد تكون في بعض الاحيان أبين وأدق في التعبير عن المراد من النسبة الى المفرد. بهذا عدل عن مذهب البصريين القائلين بقصر النسبة على المفرد الى مذهب الكوفيين المترخصين في إباحة النسبة الى الجمع توضيحا وتبيينا». ^(٩١) واستنادا الى رأي الكوفيين وإلى رأي مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي بُني عليه، نقول ان النسب الى الجمع «أخصاء» سائغ ومقبول عربيا، وبالتالي فان قول العامة: فلان أخصائي بكذا وكذا، بمعنى مختص او اختصاصي بكذا وكذا، استعمال عربي سليم، وانكاره والحجر عليه تحكم وتعنّت ليس غير.

(٩٠) النحو الوافي ٧٤٢/٤.

(٩١) نقلا عن النحو الوافي ٧٤٢/٤ هامش ٢.

المراجع

- ١ - أساس البلاغة / الزمخشري ، محمود بن عمر ط ٢ مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .
- ٢ - اعجاز القرآن / الباقلائي ، أبو بكر محمد بن الطيب . تحقيق : الشيخ عماد الدين أحمد حيدر . ط ١ . مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ١٩٨٦ م .
- ٣ - الاغانى / أبو الفرج الاصفهاني - علي بن الحسين . مصور عن طبعة دار الكتب ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت . د . ت .
- ٤ - أقرب الموارد في فصح العربية / سعيد الخوري الشرتوني . مطبعة مرسلي اليسوعية ، بيروت . ١٨٨٩ .
- ٥ - الأمالي / أبو علي القالي ، اسماعيل بن القاسم . المكتب التجاري بيروت . د . ت .
- ٦ - الايضاح في شرح المفصل / ابن الحاجب ، أبو عمرو عثمان بن عمر . تحقيق : موسى بناي العليلي . مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٨٢ م .
- ٧ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن . تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم . ط ١ . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .
- ٨ - البيان والتبيين / الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر . تحقيق : فوزي عطوى . مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٨ م .
- ٩ - تاج العروس من جواهر القاموس / الزبيدي ، محمد مرتضى ، مطابع دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ م دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي .
- ١٠ - التطور اللغوي التاريخي / ابراهيم السامرائي . دار الرائد للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- ١١ - الحيوان / الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر . شرح وتحقيق : يحيى الشامي ط ١ . دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

- ١٢ - ديوان الحماسة / ابو تمام، حبيب بن اوس، ط١، دار القلم بيروت د.ت.
- ١٣ - رصف المباني في شرح حروف المعاني / أحمد بن عبد النور المالقي. تحقيق: أحمد محمد الخراط. ط٢، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥ م.
- ١٤ - سر صناعة الاعراب / ابن جنى، ابو الفتح عثمان، تحقيق: حسن هنداوى ط١، دار القلم دمشق، ١٩٨٥ م.
- ١٥ - السيرة النبوية / ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام. تحقيق: مصطفى السقا وزميله. ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، ١٩٥٥ م.
- ١٦ - شرح ديوان حسان بن ثابت / ضبط الديوان وصححه: عبد الرحمن البرقوقي. دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧ م.
- ١٧ - شرح الشافية / الرضى الاستراباذي، رضى الدين محمد بن الحسن تحقيق: محمد نور الحسن وزميله. ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥ م.
- ١٨ - شرح المفصل / ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش. عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.
- ١٩ - صبح الاعشى في صناعة الانشاء. القلقشندي. نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية. القاهرة. د.ت.
- ٢٠ - العربية الصحيحة / أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨١ م.
- ٢١ - فقه اللغات السامية / بروكلمان، كارل، ترجمة: رمضان عبد التواب. مطبوعات جامعة الرياض. ١٩٧٧ م.
- ٢٢ - الفهرست / ابن النديم، أبو الفرج محمد، تحقيق: رضا - تجدد، طهران، ١٩٧١ م.
- ٢٣ - القاموس المحيط / الفيروزبازي، مجد الدين محمد بن يعقوب. ط٣ بولاق، المطبعة الاميرية القاهرة ١٨٨١ م.
- ٢٤ - الكتاب / سيويه، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبدالسلام

- محمد هارون (الجزء الثالث) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.
- ٢٥ - لسان العرب / ابن منظور، محمد بن مكرم، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، ١٩٧٣م.
- ٢٦ - اللغة / فندريس، جوزيف، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.
- ٢٧ - المباحث اللغوية في العراق / مصطفى جواد، مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة. ١٩٥٥م.
- ٢٨ - محيط المحيط / المعلم بطرس البستاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧م.
- ٢٩ - معاني القرآن / الاخفش، سعيد بن مسعدة، تحقيق: فائز فارس، ط ٢، الكويت، ١٩٨١م.
- ٣٠ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص / الشيخ عبدالرحيم بن أحمد العباسي. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٤٧م.
- ٣١ - معجم الادباء / ياقوت الحموي، ط ٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٣٢ - مناظرة لغوية وأدبية / جمع حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي القاهرة، ١٣٥٥ هـ.
- ٣٣ - النحو الوافي / عباس حسن. ط ٤، دار المعارف القاهرة، ١٩٧١م.
- ٣٤ - نهج البلاغة / الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، منشورات المكتبة الاهلية بيروت. د. ت.
- ٣٥ - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع / السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية الكويت، ١٩٧٧م.
- ٣٦ - وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان / ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد تحقيق: احسان عباس. دار الثقافة بيروت. د. ت.